ويعني قوله تعالى والله يشهد إن المنافقين لكاذبون لكانت يوهم أن قولهم هذا كذب فوسط
بينهما قوله والله يعلم إنك لرسوله ليميط هذا الإيهام **والله** أي المحيط بجميع صفات الكمال
يشهد شهادة هي الشهادة لأنها محيطة بدقائق الظاهر والباطن **إن المنافقين** أي الراسخين
في وصف النفاق **لكاذبون** أي في إخبارهم عن أنفسهم أنهم يشهدون لأن قلوبهم لا تطابق
ألسنتهم فهم لا يعتقدون ذلك ومن شرط قول الحق أن يتصل ظاهره بباطنه وسره بعلانيته
ومتى تخالف ذلك فهو كذب ألا ترى أنهم كانوا يقولون بألسنتهم نشهد إنك لرسول الله
وسماه الله تعالى كذبا لأن قولهم خالف اعتقادهم **اتخذوا أيمانهم** أي كلها من شهادتهم
وكل يمين سواها **جنة** أي سترة عن أموالهم ودمائهم وروى البخاري عن زيد بن أرقم
قال كنت مع عمي فسمعت عبد الله بن أبي ابن سلول يقول لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى
ينفضوا ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فذكرت ذلك لعمي فذكره
عمي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبد الله بن أبي
وأصحابه فحلفوا ما قالوا فصدقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبني فأصابني هم لم يصبني
مثله فجلست في بيتي فأنزل الله عز وجل إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إلى قوله
هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله وقوله ليخرجن الأعز منها الأذل فأرسل
إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال إن الله قد صدقك وروى الترمذي عن زيد بن أرقم
قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان معنا ناس من الأعراب فكنا نبتدر الماء وكان
الأعراب يسبقونا فيسبق الأعرابي أصحابه فيملأ الحوض ويجعل حوله حجارة ويجعل النطع
عليه حتى يجيء أصحابه قال فأتى رجل من الأنصار أعرابيا فأرخى زمام ناقته لتشرب فأبى
أن يدعه فانتزع حجرا ففاض الماء فرفع الأعرابي خشبة فضرب بها رأس الأنصاري فشجه فأتى
عبد الله بن أبي رأس المنافقين فأخبره وكان من أصحابه فغضب عبد الله بن أبي ثم قال لا تنفقوا
على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله يعني الأعراب وكانوا يحضرون رسول الله صلى
الله عليه وسلم عند الطعام فقال عبد الله إذا انفضوا من عند محمد فأتوا محمدا بالطعام فليأكل
هو ومن عنده ثم قال لأصحابه لئن رجعتم إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل قال زيد وأنا
ردف عمي فسمعت عبد الله بن أبي فأخبرت عمي فانطلق فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف وجحد قال فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبني
قال فجاء عمي إلي فقال ما أردت إلا أن مقتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبك والمنافقون
قال فوقع علي من جرائهم ما لم يقع على أحد فبينما أنا أسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سفر قد خفقت برأسي من الهم إذ أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرك أذني وضحك في وجهي
فما كان يسرني أن لي بها الخلد في الدنيا ثم إن أبا بكر لحقني فقال ما قال لك رسول الله صلى الله
عليه وسلم قلت ما قال لي شيئا إلا أنه عرك أذني وضحك في وجهي فقال أبشر ثم لحقني عمر
فقلت له مثل قولي لأبي بكر فلما أصبحنا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المنافقين
قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وروي أنه صلى الله عليه وسلم حين لقي بني المصطلق
على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتل منهم ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد أجير لعمر
يقود فرسه فأعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فقال عبد الله
جعال بذات هناك وقال ما صحبنا محمدا إلا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم
إلا كما قال سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل
عنى بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لقومه ماذا فعلتم بأنفسكم
أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عن جعال وذويه
فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولأوشكوا أن يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا
من حول محمد فسمع بذلك زيد بن أرقم وهو حدث فقال أنت والله الذليل القليل المبغض
في قومك ومحمد في عز من الرحمن وقوة من المسلمين فقال اسكت فإنما كنت ألعب

وسنان الجهني حليف عبد الله ابن أبي واقتتلا

فاخبر

فأخبر زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر دعني أضرب عنق المنافق يا رسول الله فقال
إذن ترعد أنف كثيرة بيثرب قال فإن كرهت أن يقتله مهاجري فأمر به أنصاريا
قال فكيف إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه وقال صلى الله عليه وسلم لعبد الله أنت
صاحب الكلام الذي بلغني قال والله الذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئا من ذلك وإن
زيدا لكاذب فهو قوله تعالى اتخذوا أيمانهم جنة فقال الحاضرون يا رسول الله شيخنا وكبيرنا
لا تصدق عليه كلام غلام عسى أن يكون قد وهم وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال له
لعلك غضبت عليه قال لا قال فلعله أخطأ سمعك قال لا قال فلعله شبه عليك قال لا
فلما نزلت لحق صلى الله عليه وسلم زيدا من خلفه فعرك أذنه وقال وفت أذنك يا غلام إن
الله قد صدقك وكذب المنافقين تنبيه سئل حذيفة بن اليمان عن المنافق
فقال الذي يصف الإسلام ولا يعمل به وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال آية
المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان وروى عبد الله بن
عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه
خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا اؤتمن خان وإذا حدث كذب
وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر وروي عن الحسن أنه ذكر له هذا الحديث فقال
إن بني يعقوب حدثوا فكذبوا ووعدوا فأخلفوا واؤتمنوا فخانوا إنما هذا القول
من النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل الإنذار للمسلمين والتحذير لهم أن يعتادوا هذه الخصال
شفقا أن تفضي بهم إلى النفاق وليس المعنى أن من بدرت منه هذه الخصال من غير اختيار
واعتياد أنه منافق وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن إذا حدث صدق وإذا وعد أنجز وإذا
اؤتمن وفى والمعنى المؤمن الكامل **فصدوا** أي سبب لهم واعتيادهم هذا أن أعرضوا بأنفسهم
مع سوء البواطن وحرارة ما في الصدور وحملوا غيرهم على الإعراض **عن سبيل الله** أي
عن طريق الملك الأعظم الذي شرعه لعباده ليصلوا به إلى محل رضوانه ووصلوا إلى
ذلك بخداعهم ومكرهم بجرأتهم على الأيمان الحانثة **إنهم ساء ما كانوا** أي جبلة وطبعا
يعملون أي يجددون عمله مستمرين عليه بما هو كالجبلة من جرأتهم على الله ورسوله صلى
الله عليه وسلم وخلص عباده بالأيمان الحانثة ولما كانت المعاصي تعمي القلب فكيف بأعظمها
علله بقوله تعالى **ذلك** أي سوء عملهم **بأنهم آمنوا ثم كفروا** فإن قيل المنافقون
لم يكونوا إلا على الكفر الثابت الدائم فما معنى قوله تعالى آمنوا ثم كفروا أجيب
بثلاثة أوجه أحدها آمنوا أي نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل في الإسلام ثم
كفروا ثم ظهر كفرهم بعد ذلك وتبين بما اطلع عليه من قولهم إن كان ما يقول محمد حقا
فنحن حمير وقولهم في غزوة تبوك أيطمع هذا الرجل أن يفتح له قصور كسرى وقيصر
هيهات ونحوه قوله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم
أي وظهر كفرهم بعدما أسلموا ونحوه لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم الثاني آمنوا أي
نطقوا بالإيمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالإسلام كقوله
وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا إلى قوله إنما نحن مستهزئون وههنا إعلام من الله تعالى بأن
المنافقين كفار الثالث أن يراد بذلك قوم آمنوا ثم ارتدوا **فطبع** أي فحصل
الطبع وهو الختم مع أنه معلوم أنه لا يقدر على ذلك غيره سبحانه **على قلوبهم** أي لأجل
اجترائهم على ما هو أكبر الكبائر وعلى وجه النفاق **فهم** أي فتسبب عن ذلك أنهم **لا يفقهون**
أي لا يقع لهم فقه في شيء من الأشياء لأنهم لا يميزون صوابا من خطأ ولا حقا من باطل
وإذا رأيتهم أي أيها الرسول على ما لك من الفطنة ونفوذ الفراسة أو أيها الرائي كائنا من كان
لعين البصر **تعجبك أجسامهم** لضخامتها وصباحتها فإن غالبهم كلهم بصلاح ظواهرهم
وترفيه أنفسهم فهم أشباح وقوالب ليس وراءها ألباب وحقائق قال ابن عباس كان ابن
أبي جسيما صحيحا فصيحا ذلق اللسان وقوم من المنافقين في مثل صفته وهم رؤساء المدينة

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)